

الوارث
٢٠
رجب ١٤٣١هـ - تموز ٢٠١٠م
نشرة شهرية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
أسعد الله أيامنا وأيامكم
بمناسبة مولد الإمام
علي أمير المؤمنين عليه السلام



صفحات الوارث

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

نلفت عناية الأخوة المؤمنين إلى أن هذه النشـــــرة تحتوي على كلمات مقدسة لذا نرجو عدم رميها في أماكن لا تليق بها أو حرقها أو استخدامها فيما يعد إنتهاكاً لهذه الكلمات ولكم الأجر والثـواب...

الوارث



إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
- وزارة الثقافة لسنة ٢٠١٠ - ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email: info@imamhussain-lib.org

كلمة العدد

العجب في رجب

شهر رجب من الأشهر التي لها الفضل الكبير على غيرها من الأشهر، حيث انه من الأشهر الحرم التي يقدسها المسلمون، إلا أن المتأمل في أحداث هذا الشهر يرى العجب، إذ يعيش فيه شيعة أهل البيت عليهم السلام السرور والحزن معاً فتراهم يفرحون ويغمرهم السرور في يوم إلى الليل فينقلب السرور إلى الحزن فيصبحون في اليوم الثاني باكين مغمومين وبالعكس، ولكي يطمئن القارئ الكريم لما أقول أدعوه للتأمل فيما يلي :

في اليوم الأول من رجب فرح وسرور بولادة الإمام الباقر عليه السلام.

في اليوم الثاني من رجب فرح وسرور بولادة الإمام الهادي عليه السلام.

في اليوم الثالث من رجب حزن وبكاء لشهادة الإمام الهادي عليه السلام.

نعيش فرحاً بولادة الإمام الهادي عليه السلام من صباح اليوم الثاني إلى الليل فينقلب حزناً لشهادة نفس الإمام عليه السلام في صبيحة اليوم الثالث.

ثم نعيش فرحاً في اليوم العاشر بولادة الإمام الجواد عليه السلام.

ونعيش فرحاً في اليوم الثالث عشر بولادة أمير المؤمنين عليه السلام ثم ينقلب الفرح حزناً بعد يوم واحد فقط لوفاة السيدة العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام في الخامس عشر من رجب ووفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثامن عشر منه.

وأما العكس في هذا الشهر نعيش حزناً لشهادة الإمام الكاظم عليه السلام في الخامس والعشرين منه، ووفاة ناصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومؤمن قريش أبي طالب في السادس والعشرين منه ثم ينقلب الحزن إلى فرح وسرور في اليوم السابع والعشرين حيث البعثة النبوية الشريفة.

ففي هذا الشهر يطبق شيعة أهل البيت عليهم السلام عملياً قول الأئمة الأطهار «شيعتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا». وتتجلى الموالاة بأبهى صورها، فهنيئاً لكم هذه الموالاة، ونبارك لكم هذه المشاعر بحزنها وفرحها إذ إنها تمثل المودة للقربى، والطاعة لأولي الأمر، والوفاء لأهل بيت العصمة عليهم السلام.

المشرف العام

مولد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أمه الطاهرة عليها السلام

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي أول هاشمية ولدت هاشميا. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها»[١].

ولما ماتت كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها ونزل في قبرها وتمرغ في لحدها فقيل له في ذلك فقال: إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان علي ويؤثراني على أولادهما فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها[٢].

دخول فاطمة بنت أسد الكعبة لولادة أمير المؤمنين عليه السلام

روي الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: «كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، لان آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرا في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سميه عليا، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»[٣].

تواتر أخبار ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة

قال الحاكم النيسابوري: «وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة»[٤].

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنف «التحفة الاثني عشرية في الرد على الشيعة» فقال في كتابه «إزالة الخفاء»: «تواترت الأخبار إن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليا في جوف الكعبة فإنه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده»[٥].

وقال الآلوسي: «وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة ـ إلى أن قال ـ: ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين»[٦].

تيمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنة ولادته عليه السلام

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «روي أن السنة التي ولد فيها علي عليه السلام هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار، وكشف عن بصره، فشاهد أنوارا وأشخاصا، ولم يخاطب فيها بشيء. وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والانقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمن بتلك السنة وبولادة علي عليه السلام فيها، ويسميها سنة الخير وسنة البركة. وقال لأهله ليلة ولادته...: لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبوابا كثيرة من النعمة والرحمة. وكان كما قال صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنه عليه السلام كان ناصره، والمحامي عنه، وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورست دعائمه، وتمهدت قواعده»[٧].

كفالة النبي صلى الله عليه واله وسلم وتربيته لعلي عليه السلام

لما ولدت فاطمة بنت أسد عليا كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله حبا شديدا، وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي. وكان صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته، وكان يطهر عليا في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويجعله على صدره[٨].

وعن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «سمعت زيدا أبي يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين، ويجعلهما في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره»[٩].

وعن زيد بن علي قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ عليا من أبيه وهو صغير في سنة قحط أصابت قريشا، وأخذ حمزة جعفرا، وأخذ العباس طالبا؛ ليكفوا أباهم مؤنتهم، ويخففوا عنه ثقلهم، وأخذ هو عقيلا لميله كان إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اخترت من اختار الله لي عليكم؛ عليا»[١٠].

والإمام علي عليه السلام في خطبته المسماة بالقاصعة يوضح هذا المعنى فيقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة؛ وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته؛ يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة»[١١].

بعض أدعية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام

١. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم أقول كما قال أخي موسى: اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي، علياً أخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا»[١٢].

٢. عن الإمام علي عليه السلام قال: «كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله ليلا ونهارا، وكنت إذا سألته أجابني، وإن سكت ابتدأني. وما نزلت عليه آية إلا قرأها وعلمت تفسيرها وتأويلها. ودعا الله لي أن لا أنسى شيئا علمني إياه، فما نسيته؛ من حرام ولا حلال، وأمر ونهي، وطاعة ومعصية. ولقد وضع يده على صدري وقال: اللهم املأ قلبه علما وفهما وحكما ونورا. ثم قال لي: أخبرني ربي عز وجل أنه قد استجاب لي فيك»[١٣].

٣. وعن الإمام أمير المؤمنين أيضا قال: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء! فضرب بيده في صدري، ثم قال: اللهم اهدِ قلبه، وثبت لسانه. فما شككت بعد في قضاء بين اثنين»[١٤].

٤. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار»[١٥].

٥. وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأعن من أعانه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، واخذل عدوه وكن له ولولده، واخلفه فيهم بخير، وبارك لهم فيما تعطيهم، وأيدهم بروح القدس، واحفظهم حيث توجهوا من الأرض، واجعل الإمامة فيهم، واشكر من أطاعهم، وأهلك من عصاهم، إنك قريب مجيب»[١٦].

٦. عن جعفر بن إبراهيم الجعفري عن أبيه عن جعفر قال: «سمعت أبا ذر وهو مستند إلى الكعبة وهو يقول أيها الناس استووا أحدثكم مما سمعت من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول لعلي بن أبي طالب كلمات لو تكون لي إحداهن أحب إلي من الدنيا وما فيها سمعت رسول الله وهو يقول اللهم أعنه واستعن به اللهم انصره وانتصر له فإنه عبدك وأخو رسولك»[١٧].

بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

عن أبي هريرة قال: «رأيت معاذ ابن جبل يديم النظر إلى علي بن أبي طالب، فقلت: ما لك تديم النظر إلى علي، كأنك لم تره؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: النظر إلى وجه علي عبادة»[١٨].

قال الزمخشري عن ابن الأعرابي: «إذا برز ـ يعني عليا عليه السلام ـ قال الناس: لا إله إلا الله، ما أشرق هذا الفتى!، ما أعلمه!، ما أكرمه!، ما أحلمه!، ما أشجعه!، فكانت رؤيته تحمل على النطق بالعبادة، فيا لها من سعادة!»[١٩].

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

---

(١) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني: ج ٢٢، ص ٦٣٤.
(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٤٦٩.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٣، ص ٤٨٣.
(٥) نقلا عن كتاب الغدير للشيخ الأميني: ج ٦، ص ٢٢.
(٦) المصدر السابق.
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤، ص ١١٥.
(٨) حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ٢٩.
(٩) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣٨، ص ٣٢٤.
(١٠) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ١٥.
(١١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ١٩٧.
(١٢) الكامل لعبد الله بن عدي: ج ٢، ص ١٤٣. وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٥٢.
(١٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٣٨٦.
(١٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٢، ص ٦٩١.
(١٥) الغدير للشيخ الأميني: ج ٣، ص ١٧٩.
(١٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج١، ص ٦٥.
(١٧) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٥٤. وراجع لسان الميزان لابن حجر: ج ٦، ص ١٠٩.
(١٨) غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ج ٦، ص ١٩٤.
(١٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ج ٦، ص ٣٨٨.



روى الشيخ المفيد عن الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن إسماعيل بن أبان، عن عمرو بن شمر، قال: سمعت جابر بن يزيد الجعفي يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: حدثني أبي عن جدي، قال:

«لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى الناكثين بالبصرة نزل الربذة، فلما ارتحل منها لقيه عبد الله بن خليفة الطائي وقد نزل بمنزل يقال له: «قائد» فقربه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عبد الله: الحمد لله الذي رد الحق إلى أهله ووضعه في موضعه، كره ذلك قوم أم سروا به، فقد والله كرهوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، و نابذوه وقاتلوه، فرد الله كيدهم في نحورهم، وجعل دائرة السوء عليهم، والله لنجاهدن معك في كل موطن حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه إلى جنبه، وكان له حبيبا و ولياً، وأخذ يسائله عن الناس، إلى أن سأله عن أبي موسى الأشعري فقال: والله ما أنا واثق به، وما آمن عليك خلافه إن وجد مساعداً على ذلك!!

فقال أمير المؤمنين: والله ما كان عندي مؤتمناً ولا ناصحاً، ولقد كان الذين تقدموني استولوا على مودته وولوه وسلطوه بالإمرة على الناس[1]، ولقد أردت عزله فسألني الأِشتر فيه وأن أقره فأقررته على كره مني له، وعملت على صرفه من بعد.

قال: فهو مع عبد الله في هذا ونحوه إذ أقبل سواد كثير من قبل جبال طيء فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنظروا ما هذا السواد؟ وقد ذهبت الخيل تركض فلم تلبث أن رجعت فقيل: هذه طيء قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل، فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته، ومنهم من يريد النفوذ معك إلى عدوك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزى الله طياً خيراً، «وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا»[2]، فلما انتهوا إليه سلموا عليه.

قال عبد الله بن خليفة: فسرّني والله ما رأيت من جماعتهم وحسن هيئتهم، وتكلموا فأقروا والله لعيني ما رأيت خطيباً أبلغ من خطيبهم.

وقام عدي بن حاتم الطائي فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني كنت أسلمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأديت الزكاة على عهده، وقاتلت أهل الردة من بعده، أردت بذلك ما عند الله، وعلى الله ثواب من أحسن واتقى، وقد بلغنا أن رجالاً من أهل مكة نكثوا بيعتك وخالفوا عليك ظالمين فأتيناك لننصرك بالحق، فنحن بين يديك فمرنا بما أحببت ثم أنشأ يقول:

فنحن نصرنا الله من قبل ذاكم
وأنت بحق جئتنا فسننصر
سنكفيك دون الناس طراً بنصرنا
وأنت به من سائر الناس أجدر

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزاكم الله من حي عن الإسلام وأهله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدين، ونويتم نصر المسلمين.

وقام سعيد بن عبيد البختري من بني بختر فقال: يا أمير المؤمنين إن من الناس من يقدر أن يعبر بلسانه عما في قلبه، ومنهم من لا يقدر أن يبين ما يجده في نفسه بلسانه، فإن تكلف ذلك شق عليه، وإن سكت عما في قلبه برح به الهم والبرم، وإني والله

ما كل ما في نفسي أقدر أن أوديه إليك بلساني، ولكن والله لأجهدن على أن أبين لك والله ولي التوفيق، أما أنا فإني ناصح لك في السر والعلانية، ومقاتل معك الأعداء في كل موطن، وأرى لك من الحق ما لم أكن اراه لمن كان قبلك، ولا لأحد اليوم من أهل زمانك، لفضيلتك في الإسلام وقرابتك من الرسول، ولن أفارقك أبداً حتى تظفر أو أموت بين يديك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يرحمك الله فقد أدى لسانك ما يجد ضميرك لنا، و نسأل الله أن يرزقك العافية ويثيبك الجنة.

وتكلم نفر منهم، فما حفظت غير كلام هذين الرجلين.

ثم أرتحل أمير المؤمنين و اتبعه منهم ستمائة رجل حتى نزل «ذاقار» فنزلها في ألف وثلاثمائة رجل»[3].

أخبرنا أبو القاسم الشحامي، أنبأنا أبو بكر العمري.

وأخبرنا أبو الفتح المصري، وأبو نصر الصوفي، وأبو علي الفضيلي، وأبو محمد حفيد العميري، وأبو القاسم منصور بن ثابت، وأبو معصوم بن صاعد، وأبو المظفر بن عبد الملك، وأبو محمد خالد ابن محمد، قالوا: أنبأنا عبد الله بن محمد البغوي، أنبأنا العلاء بن موسى، أنبأنا سوار بن مصعب، عن عطية العوفي، عن مالك بن الحويرث، قال: قام علي بن أبي طالب بالربذة فقال: «من أحب أن يلحقنا فليلحقنا، ومن أحب أن يرجع فليرجع مأذوناً له غير حرج». فقام الحسين عليه السلام إليه فقال: «يا أبة (أو يا أمير المؤمنين) لو كنت في جحر وكان للعرب فيك حاجة لأتتك حتى يستخرجوك منه».

فخطب علي وقال: «الذي يبتلي من يشاء بما يشاء ويعافي من يشاء مما يشاء، أما والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً لبطن وذنباً لرأس، فو الله إن وجدت له إلا القتال أو الكفر بالله !!! يحلف بالله علي !!»[4].

روى أنه لما اخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فتكلم فيه الحسن والحسين عليهما السلام فخلى سبيله، فقالا له: «يبايعك يا أمير المؤمنين».

فقال: «ألم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده موتاً أحمر، فكان كما قال عليه السلام»[5].

علم أمير المؤمنين عليه السلام

روى الصدوق عن حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، وأحمد بن الحسن القطان، و محمد بن إبراهيم بن احمد المعاذي، قالوا: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني مولى بني هاشم، قال: حدثنا عمرو بن جميع، عن جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده عليهما السلام قال:

دخل الحسين بن علي عليهما السلام على معاوية فقال له: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصرة ثم دار عشيا في طرقهم في ثوبين؟

فقال عليه السلام: حمله على ذلك علمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال: صدقت.

قال وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام لما أراد قتال الخوارج: لو احترزت يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:

أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر
يوم ما قدر لا أخشى الردى وإذا قدر لم يغن الحذر[6][7].

---

١. جاء في هامش أمالي المفيد: يعني عمر وعثمان، لأنه كان والياً على البصرة في أيامهما، وكان عامل علي عليه السلام على الكوفة، فعزله و ولى عليها قرظة بن كعب.

٢. النساء: ٩٥.

٣. أمالي المفيد: ٢٩٥، أمالي الطوسي: ١: ٦٨، بحار الأنوار: ٣٢: ١٠١ حديث ٧٢.

٤. تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام علي عليه السلام) ٣: ١٧٦ حديث ١١٩٥.

٥. إعلام الورى ٥٧١ بحار الأنوار ٣٢: ٢٣٥ حديث ١٨٧.

٦. التوحيد للصدوق: ٣٧٤ حديث ١٩، نور الثقلين ٢: ٢٨ حديث ١٠٤، إلى قوله صدقت.

٧. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: معهد تحقيقات باقر العلوم، ص١٧٣ ـ ١٤١.

اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بالشعر والشعراء

ديوان الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

لقد أورد الشيخ الطهراني في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة تحت رقم ٥٠٧ كتاباً بالعنوان المتقدم وذكر أنه للشيخ محمد حسين بن محمد باقر[1] البيرجندي القائني والذي كان هو وأبوه من معاصري الشيخ الطهراني وقد عاش والده ما بين عامي (١٢٧٦ ـ ١٣٥٢هـ) ما يعني أن ولادة جامع الديوان كانت على الظاهر في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، ويظهر من كلام الطهراني: أن صاحب الديوان كان أديباً شاعراً حيث يقول: فإنه يتخلص في شعره بـ«ضيائي».

هذا ويبدو أن الديوان كان في متناول يد الخياباني حيث ذكر الطهراني قائلاً: «ذكره الخياباني في هامش وقائع الأيام» حيث هو الآخر جمع شعر الإمام الحسين عليه السلام ضمن أشعار المعصومين عليهم السلام.

ويظهر أيضاً من حديث الطهراني عن الديوان أنه مجرد جمع للأشعار دون شرح أو تعليق حيث لم يذكر عن ذلك شيئاً، رغم أن ديدنه ذكر هذه التفاصيل، ولعله لم يشاهده لأنه أحجم أيضاً عن ذكر سائر التفاصيل كعدد الصفحات وما ورد في بدايته وما اختتم به.

هذا وقد حاولنا الحصول على نسخة منه من مظانه في إيران دون جدوى، كما أنه لم يرد له ذكر في فهارس المكتبات العامة في إيران كالمكتبة الرضوية في مشهد، ومكتبة المرعشي في قم، ومكتبة المجلس في طهران، ولا في المجاميع التي نشرت عبر المجلات الخاصة بذلك، مما يبدو أنه لا زال في أيدي أبناء جامعه ولم يظهر بشكل واسع ليكون بمتناول عامة الناس[2].

---

١. محمد باقر: هو بان محمد حسن بن أسد الله بن عبد الله بن علي محمد الشريف، كان من الفضلاء العلماء، له كتاب: بغية الطالب فيمن رأى الإمام الغائب.

٢. ديوان الإمام الحسين عليه السلام: محمد صادق الكرباسي، ـ ج١ ـ ص٢٨.



حين نريد أن نتعرف على فكرة النسخ «موضوعة البحث» يحسن بنا أن نفهمها من خلال مشابهاتها في حياتنا الاجتماعية المعاصرة.

فإننا نشاهد أن بعض الدول أو المجتمعات قد تضع قانوناً لتنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض حكاماً أو محكومين، ثم نراها بعد تطبيقه مدة من الزمان تستبدل له قانوناً آخر يتكفل تنظيماً جديداً للعلاقات بين الناس. وحينئذ يمكن أن يقال إن القانون الآخر نسخ القانون الأول وأصبح بدلاً عنه.

كما نشاهد أيضاً أن بعض الدول تضع مادة معينة في القانون الذي يجري تطبيقه ثم ترى أن تستبدلها بمادة أخرى مع الاحتفاظ بالقانون نفسه كمنهج عام للتنظيم الاجتماعي.

وهذان النوعان من النسخ: نسخ القانون للقانون ونسخ مادة لمادة من القانون نفسه يمكن أن نتصورها في التشريع الإلهي بأن تنسخ شريعة سماوية شريعة أخرى أو مادة في شريعة سماوية مادة من تلك الشريعة.

ولكن يوجد فارق أساسي بين النسخ في التشريع الإلهي والنسخ في التشريعات الوضعية. ذلك أن النسخ في التشريع الإلهي لا يكون إلا بعد علم مسبق بوقوعه في ظروفه المعينة وفي وقته المحدد بخلاف النسخ في التشريع الوضعي حيث يكتشف ـ في أكثر الأحيان ـ عن جهل بالواقع الموضوعي الذي وضع التشريع لمعالجته. وعندما ينكشف تخلف التشريع عن تحقيق غاياته.. ينسخ بتشريع آخر في سبيل محاولة لتحقيق تلك الغايات والأهداف. نعم في القوانين الوضعية قد يوضع القانون منذ البداية بشكل مؤقت، ثم ينسخ عند انتهاء وقته كما في الدساتير المؤقتة عند حصول تغييرات أساسية في المجتمع، وهذا النوع يشبه إلى حد كبير النسخ في الشريعة الإلهية حيث يكون الحكم المنسوخ فيها منذ البداية مؤقتاً في الواقع.

النسخ لغة واصطلاحا

أ. اللغة: للنسخ معان متعددة ذكرت في كتب اللغة وهي تدور بين «النقل» و«الإبطال» فتقول «نسخ زيد الكتاب؛ إذا نقله عن معارضه». ونسخ النخل؛ إذا نقله من خلية إلى أخرى، وتقول: نسخ الشيب الشاب؛ إذا أزاله وحل محله. وتقول: نسخت الريح آثار القوم؛ إذا ابطلتها وعفت عليها[1]. واللغويون حين يذكرون هذه المعاني المتعددة يختلفون في أي واحد منها هو المعنى الحقيقي للكلمة أو انها بأجمعها معانٍ حقيقية؟.

وتمييز المعنى الحقيقي للكلمة عن المعنى المجازي ليس في الواقع من الأهمية بقدر تحديد المعنى اللغوي الذي ينسجم مع فكرة النسخ ذاتها. وبهذا الصدد نجد أن الإزالة هي أوفق المعاني اللغوية انسجاماً مع الفكرة التي عرضناها عن النسخ، خصوصاً إذا لاحظنا أن فكرة النسخ في القرآن الكريم ورد التعبير عنها بموارد مختلفة تنسجم كلها مع الإزالة، لأن كل واقعة لا يمكن أن تخلو من الحكم الشرعي فإذا أزيل حكم فلابد أن يحل محله حكم آخر. وأما في القرآن كقوله تعالى: «مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ». وقوله تعالى: «وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». نجد الإزالة هي المعنى الذي ينسجم مع المحو والتبديل أيضاً.

ب. الاصطلاح: وحين نلاحظ كلمة النسخ في إطلاقات علماء القرآن والمفسرين نجد الكلمة قد مرت بمراحل متعددة من التطور، حتى انتهى الأمر بها إلى خصوص الفكرة التي عرضناها سابقاً.

وهذه المراحل تبدأ منذ العصور الأولى لهذا العلم حيث كان يطلق بعض الصحابة كلمة النسخ على مجرد مخالفة آية لأخرى في الظهور اللفظي حتى لو كانت هذه المخالفة على نحو العموم والخصوص من وجه أو نحو التخصيص، أو كانت إحدى الآيتين مطلقة والأخرى مقيدة.

وهذه السعة في الإطلاق قد تكون نتيجة للتوسع في فهم أصل الفكرة كما يمكن أن تكون نتيجة فهم ساذج لبعض الآيات القرآنية. ومن هنا وقع الاختلاف بين علماء القرآن في تعيين الآيات المنسوخة والآيات الناسخة فنجد بعضهم يتوسع في تعدادها وبعضهم الآخر يقتصر على كمية محدودة منها.

ولكن بعد مضي مدة من الزمن على الدراسات القرآنية نرى بعض العلماء يحاول أن يميز بين النسخ وبين «التقييد» و«التخصيص» و«البيان» ويقصر النسخ على الفكرة التي عرضناها سابقاً. وقيل أن أول محاولة في ذلك كانت من قبل «الشافعي».

وقد ذكر الأصوليون للنسخ تعاريف كثيرة أصبحت بعد ذلك مجالاً واسعاً للمناقشة والنقد. ولكننا نقتصر هنا على ما ذكره السيد الخوئي من تعريف للنسخ لأنه يفي بالمقصود.

النسخ: رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية ـ كالوجوب والحرمة ـ أم من الأحكام الوضعية كالصحة والبطلان. وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما انه شارع.

ويلاحظ في هذا التعريف، أن الرفع في النسخ إنما يكون لأمر ثابت في أصل الشريعة. ولذا فلا يكون شاملاً لمثل ارتفاع الحكم الشرعي الذي يكون بسبب انتهاء موضوعه كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان أو ارتفاع ملكية شخص لماله بسبب موته فإن هذا النوع من ارتفاع الحكم لا يسمى نسخاً. ولا نجد من يخالف في إمكانه ووقوعه. وقد أوضح السيد الخوئي لنا الفرق بين الارتفاع الذي يكون نسخاً والارتفاع الذي لا يكون من النسخ في شيء وذلك بالبيان التالي:

إن الحكم المجعول في الشريعة المقدسة له مرحلتان من الثبوت:

الأولى ـ ثبوت الحكم في عالم التشريع والإنشاء والحكم في هذه المرحلة يكون مشرعاً على نحو «القضية الحقيقية» حيث لا يفرق في صدقها وثبوتها وجود الموضوع في الخارج وعدم وجوده. وإنما يكون قوام ثبوت الحكم ووجوده فيها بفرض وجود الموضوع.

فإذا قال الشارع. شرب الخمر حرام «مثلاً» فليس معناه ان هنا خمراً في الخارج وان هذا الخمر محكوم بالحرمة في الشريعة سواء كان في الخارج خمر بالفعل أم لم يكن ورفع مثل هذا الحكم في هذه المرحلة من ثبوته لا يكون إلا بالنسخ.

الثانية ـ ثبوت الحكم في الخارج بأن يتحول إلى حكم فعلي بسبب فعلية موضوعه وتحققه خارجا. كما إذا تحقق وجود الخمر خارجاً في مثالنا السابق. فإن الحرمة المجعولة في الشريعة للخمر حال خمريته وتحل محلها الحلية للخل.

وهذا الارتفاع للحكم ليس من النسخ في شيء وليس لأحد شك في جوازه ولا في وقوعه[2].

---

١. راجع بهذا الصدد لسان العرب، ٤ ـ ٢٨ط: بولاق.

٢. علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ص١٥٧ ـ ١٦١.

الطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة:

القسم الخامس: التجّار والصنّاع

إذا كانت الزراعة هي ينبوع النشاط الاقتصادي في العصور القديمة، فإن التجارة هي المظهر الأكمل لهذا النشاط في جميع العصور.

إذن فطبقة التجار تشكل وحدة اجتماعية عظيمة القيمة، بعيدة الأثر في الكيان الاجتماعي. ولو أن اضطراباً ألم بنشاط هذه الطبقة لاضطرب المجتمع كله، فتحدث المجاعات في بعض الأطراف بينما تكدس الموارد الغذائية في أطراف أخرى، وبينما توجد في بعض المناطق سلع كثيرة للاستهلاك، توجد مناطق أخرى نقصاً في سلع الاستهلاك.

وهؤلاء التجار ـ في كلام الإمام على قسمين: منهم المقيم المستقر بماله وتجارته. ومنهم المتجول المضطرب بماله بين البلدان يرصد حاجة كل بلد فيتجر فيه بالسلعة التي يفتقر إليها.

وأما الصناع فيجب أن ندخلهم في طبقة التجار ونفهمهم على أنهم منها هنا، وذلك لأمرين.

الأول: أن لكل من هؤلاء الصناع عملاً خاصاً مستقلاً يتجر به وحده أو يشاركه فيه غيره فهو يتمتع بنتيجة عمله وليس مستخدماً عند غيره كما هو حال العامل الآن.

الثاني: إن الوجدان الطبقي عند التجار والصناع واحد كما سنرى. والميزان في عد طائفتين من الناس طبقة واحدة هو وحدة الوجدان الطبقي فيهما.

هناك تلازم وثيق بين الازدهار الاقتصادي وبين التجارة، فكلما نشطت حركة التجارة ارتفعت نسبة الإنتاج، وكلما ضعف أمر التجارة هبطت هذه النسبة، وتبعتها في الهبوط المكانة الاقتصادية للأمة.

نضرب لهذا مثلا بحالة المقاطعات الفرنسية في عصر الإقطاع، ثم بحالة هذه المقاطعات بعد ضعف أمر الإقطاع ونشوء البرجوازية.

ففي عهد الإقطاع الذي ساد أوروبا منذ انهيار إمبراطورية شارلمان إلى ما بعد الحركة الأولى للحروب الصليبية ضعفت الحركة التجارية في أوروبا ضعفاً عظيماً فتبعها الإنتاج في الهبوط، واكتفى سكان كل إقطاعية بإنتاج ما يلزمهم ويكفيهم من الموارد الغذائية واقتصروا منها على أنواع خاصة تسد حاجتهم. ولا تستدعيهم بذل جهد كبير فلم يكن شيء سوى سد الحاجة مطلباً لهم. نعم كانت ثمة استثناءات خاصة في السلاح والثياب والأثاث للزعيم، وكانت هذه تنقل من أقاليم بعيدة نسبياً. وهكذا كانت المقاطعات الفرنسية كلها، تجنح في الاقتصاد نحو سياسة الاكتفاء الذاتي، وعدم إنتاج ما يزيد على الحاجة.

ولكن ما أن انتهت شرارة الحروب الصليبية التي ذهبت بكثير من النبلاء والإقطاعيين، وما أن حدثت تطورات اجتماعية أخرى كالنزوح من الريف إلى المدينة، وتأييد الملك، واختراع المدافع الذي ذهب بقيمة الحصون... ما أن حدث هذا عادت التجارة فنشطت نشاطاً عظيماً، ونشأت طبقة البرجوازيين التجارية التي يتنقل أفرادها بين البلدان، واستتبع ذلك ارتفاع مستوى الإنتاج، فزرع الزراع أنواعاً جديدة لم يكن ليزرعها لولا طلب التجار لها، واشترى أشياء جديدة «ملابس وأسلحة، وآنية، وأدوات زينة» لم يكن ليقدر على شرائها لولا نشاط التجار الجديد، وتفنن الصانع في صنعه، فلم يعد يصنع ما يسد الحاجة فقط، وإنما خذ يصنع ما يرضي حاسة الجمال أيضاً. وقامت المشاريع الصناعية الكبرى فنشأت البرجوازية المالية والبرجوازية الصناعية. وهكذا ارتفع مستوى الإنتاج بسبب نشاط الحركة التجارية.

وعندما نبحث عن أسباب التدهور الذي حل بفرنسا وغيرها من دول أوروبا في عصر الإقطاع نجد أسباباً مختلفة.

منها عدم وجود الطرق التجارية الصالحة في جميع الأوقات بين مختلف أنحاء البلاد.

ومنها قطاع الطرق، وعصابات اللصوص والقتلة التي تترصد القوافل التجارية.

ومنها عدم وجود سلطة مركزية تبث الأمن، وتضرب على أيدي المفسدين في الأرض، لأن السلطة المركزية في عصر الإقطاع كانت واهنة وكان السلطان الفعلي بأيدي الإقطاعيين وكان هؤلاء في حالة حرب دائمة فيما بينهم في شغل عن تأمين السبل والضرب على أيدي المفسدين.

ومنها الرسوم الجمركية الفاحشة، والضرائب الباهظة التي تفرض على البضاعة عند حدود كل مقاطعة، وعند كل جسر ومعبر مما يرتفع بثمن السلعة إلى مبلغ كبير لا يقوى عليه الفرد المحدود الدخل.

هذه الأمور أضعفت الحركة التجارية وحصرتها في نطاق شديد الضيق.

ولكن الوضع تغير عندما حدثت التطورات الاجتماعية التي أشرنا إليها. فلقد استتبع ضعف شأن الإقطاعيين تحول الشعب إلى تأييد الملك فاشتد ساعد السلطة المركزية، وعند ذلك ضربت هذه السلطة على أيدي اللصوص وقطاع الطرق ومهدت السبل التجارية وأمنتها، ووحدت الضرائب فاتسع مجال التجارة، ونجم عنها الازدهار الاقتصادي الذي أشرنا إليه.

وما نشك في أن الإمام كان على وعي لهذا كله يوم كتب للأشتر عهده الذي عهده إليه.

فقد استوصاه بالتجار خيراً، وأمره بأن يوصي بذلك ولاته وعماله.

وما هذا الخير الذي أراده لهم إلا تسهيل مهمتهم، ليؤدوا خدماتهم للمجتمع على الوجه الأكمل، فلا يجوز أن تكون المكوس والضرائب باهظة تستصفي الربح كله، أو تبقي منه شيئاً لا يسد الحاجة، ولا يحمل صاحبه على المخاطرة، لأن ذلك يلجئه إلى أن يجمد ماله فلا ينميه بالتجارة، ويلحق بالمجتمع من ذلك ضرر كبير ينشأ من توقف حركة العرض والطلب التي ينجم عنها هبوط المستوى الاقتصادي.

ويجب أن تكون الطرق التجارية صالحة في جميع الأمكنة ليتيسر للتجار التنقل بين أطراف البلاد، وليتمكنوا من تلبية الرغبات في جميع الأنحاء، وليستطيعوا نقل فائض الإنتاج من منطقة فيسدوا به حاجة منطقة أخرى تعاني نقصاً فيه.

ويجب أن يستتب الأمن، لئلا يمسك الخوف التاجر عن التنقل، ويقعد به الفرق من أن يذهب ضحية العدوان.

قال عليه السلام: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليه، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك».

ذهب «سان سيمون» إلى أن الوجدان الطبقي الذي يميز طبقة الصناع والتجار هو الإنتاج، وإنماء الثروة الفردية عن طريق تشكيل المادة على نحو ينتفع به الإنسان، أو عن طريق الاتجار بهذه المادة.

وهم، بهذا، يخالفون طبقة الحاكمين لأن هؤلاء يجعلون مظهر سلطانهم على الإنسان «كان سيمون يكتب هذا في سنة ١٨١٨» أما التجار والصناع فقد جعلوا سلطانهم على المادة، ولذلك فهم طبقة مسالمة لا يخشى منها شر، بخلاف من كان سلطانهم على الإنسان، فإنهم ينزعون إلى الشر والتسلط.

وهو يرى أن البرجوازية الصناعية والتجارية قد حققتا انقلاباً هائلاً في نظرة الإنسان إلى وسيلة جمع المال، وبدلتا المفاهيم الاقتصادية التي سيطرت على العقل الإنساني آلاف السنين.

فبينما كانت هذه المفاهيم تقضي بأن أحسن الوسائل لجمع المال هي السيطرة على طائفة من الناس واستخدامها، نرى هذه الطبقة الناشئة تؤكد أن السبيل الأفضل لذلك هو السيطرة على المادة وتسخيرها لحاجات الإنسان بواسطة قوى العلم.

ويرى سيمون أن من الضروري للتقدم الإنساني أن تتاح لهذه الطبقة جميع فرص النمو، لتعم ثروتها المباركة على النظرة التقليدية لوسائل جمع المال وهذه الفكرة بديهية. وقد أكدت جميع التجارب صحتها.

ولا يصعب علينا أن نتبين روح هذه الفكرة في عهد الإمام، فقد رأيت أنه قد أوصى الحاكم بالتجار والصناع، وأمره أن يرعى شؤونهم ويتفقد أحوالهم، ويفسح لهم في المجالات ليتسنى لهم أن يساهموا مساهمة خصبة في رفع مستوى الإنتاج وإنماء الحياة الاقتصادية.

وتأمل في قوله: «... فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته» فإنه يؤكد في وجوب العناية بهم والرعاية لهم، لأنهم لا يخشى منهم شر، فطبيعة عملهم، والوجدان الذي يدفعهم إلى هذا العمل فيهما خير المجتمع ورفاهه.

وأما قوله: «وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك» بعد أن أمره وأمر عماله برعايتهم، فإنه يشبه أن يكون أمراً بإنشاء دائرة خاصة تعنى بشؤون التجار.

قلت: إننا لا يصعب علينا أن نتبين روح هذه النظرية في عهد الإمام ولكن في هذا العهد ملاحظة عميقة واعية غفل عنها سان سيمون، وأولتها الأبحاث الاجتماعية الحديثة عناية كبيرة.

وذلك أنه إذا كان من الحق أن نعترف بأن طبقة التجار والصناع طبقة محبة للسلم، طبقة يعود نشاطها على المجتمع بالخير، فإن من الحق أن نعترف أيضاً أنها تصير في بعض الأحيان ذات نشاط عدواني مضر بالمجتمع فعندما تستحكم «العقلية التجارية» في التاجر والصانع إلى حد أنها تدفع بهما إلى التماس الثروة من أقرب الطرق ـ عندما يحدث هذا تجنح هذه الطبقة إلى التسلط والسيطرة على الإنسان بصورة غير مباشرة، ولكنها بالغة الضرر، وذلك بالاحتكار والتوسل به إلى السيطرة على الأسواق والتحكم بالأسعار، وبالتطفيف في الموازين، وبالغش وبيع الأصناف الرديئة، وبكل طرق يضمن ربحاً وفيراً في مقابل رأسمال قليل.

عندما يحدث هذا الانحراف في عمل هذه الطبقة تصير خطراً. وإذن فكما تجب معونتها، يجب مراقبتها أيضاً لئلا تنحرف انحرافاً يضر بالشعب، ويحرم الفقير من بلغة عيشة، فحينما ترتفع الأسعار وتبقى الأجور كما هي تحدث أزمة عند من لا تفي أجورهم بالأسعار الجديدة.

هذه الظاهرة، ظاهرة انقلاب هذه الطبقة إلى خطر، لاحظها الإمام، وتقدم إلى عامله بأن يلاحظها، وبين له العلاج.

فعندما يحدث الانحراف يتعين على الحاكم بأن يقوم بتدبير زجري يرجع الأمور إلى نصابها، وذلك إما بمنع المحتكر من الاحتكار، وإجباره على البيع بالسعر المعقول، وإما بتعميم المادة المحتكرة على تجار عديدين يبيعونها بالسعر العادل بالنسبة إلى الفريقين؛ البائع والمستهلك، فإذا ما احتكر تاجر بعد النهي عوقب ليرتدع.

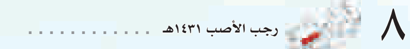
وأمر عامله أن يجعل الأسعار على مستوى لا يعجز عنه أوساط الناس، ولا يخسر به التاجر.

وأمره أن يضبط المكاييل والموازين لئلا يبخس البائع المبتاع.

قال عليه السلام:

«واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف»[١].

(١) دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين، ص١١٩ـ١٢٨.



المثقف و السلطة

كثيراً ما تثار قضية العلاقة بين المثقف والسياسي، فهما يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان إلا في أرضية التعاطي مع الواقع؛ فكلاهما يريد أن يتشكل العالم كما يفكر ويتصور، وكل منهما يعمل على احتواء الآخرين، وخلق منظومة خاصة به، ويستمد كلاهما شرعيته بالاتكاء على مرجعيات تاريخية وحضارية، ويشترك الاثنان في نشدان التنمية عند التعاطي مع المجتمع، ولكنهما يختلفان في الوسائل، ومن هنا صار لكل منهما مسار مغاير للآخر، يتعاركان ويتصالحان بقدر ما يخضع احدهما للثاني.

فالمثقف يرى أنه هو الذي ينتج الوعي، وعليه أن يخرج عن صمته ويقتحم؛ وهو ليس في حاجة إلى إذن من أحد كي يمارس دوره التوعوي، من هذه النقطة - الاتصال بالجماهير - يبدأ احتكاكه المباشر بالشأن السياسي، وكل حالاته معها تجسد مواقفه فإما أن يكون مع السلطة أو ضدها، والحياد أيضاً يعد منه موقفاً لأنه يساوي بين الحكومة والمعارضة، وتدرك السلطة ذلك، ويصبح الموقف في العلاقة بينهما متأزما، فالسياسي يعتقد بأنه لا يكتسب ثقة المثقف، ولا يأمن جانبه كلياً إلا إذا احتواه واستوعبه، «المثقف» قد يخيل إليه أنه لا يستقل بذاته ولا يحتمي في كيانه إلا إذا احترف الاعتراض المطلق حيال كل ما يأتي به السياسي، فالمسألة بالنسبة للمثقف تتعدى الخيار لتصبح مسألة وجود، ولهذا يرفض أن يخضع لـ معبود سياسي من أي نوع كان، وضد الإيمان بمثل هذا الإله فهو غير مؤهل بطريقة أو بأخرى للتدجين.

ما سبق يطرح إشكالية استقلال المثقف، إذ يرى بعض الباحثين أن ما يعيشه العالم الإسلامي والعربي من ارتهان مقدراته بيد النخبة الحاكمة قد جعل أكثر المؤسسات الثقافية والإعلامية تتحول إلى تابعة أو خادمة للنخب الحاكمة، وكل ذلك يجعل من استقلال أكثر المثقفين العرب عن دولهم أمراً بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً، فلا مجال لتجنب السلطة، ومن هنا فإن المثقف يعيش دائماً بين الانعزال، والانحياز، وإن كان الرفض والمعارضة هو الأكثر حضوراً في مواقف المثقف، إلى درجة أن بعضهم يرى أنه من النادر أن نجد مثقفين يمينيين أو يساريين يدافعون عن الوضع الراهن كما أنه من الخطأ الاعتقاد بأن رفض المؤسسات القائمة متأصل في نفوس المثقفين ولازب لنشاطهم.

من يتصالح مع السلطة يستند إلى مبدأ تحليلي عقلي عام، إذ يرفض أن يكون هنالك شي مطلق في حقيقته، بل الأمر نسبي؛ ولهذا يمنع تسمية جانب بريئاً والآخر شريداً، والسلطة لا يخرج تقييمها عن ذلك أيضاً، ولهذا نرى عبر الأزمنة أن أي تغيير سياسي أو إيديولوجي أو طبقي أو عسكري، يجد من بين المثقفين من يدافع عنه، بل ومن ينظر له ويفلسف وجوده، وعليه لا بد من تجسير الفجوة بين الحاكم والمثقف بجسر ذهبي أو فضي أو خشبي، وهذا يمنع أن يكون هنالك مثقفون مضطهدون من جهة الحاكم، كما يمنع أن يتحول الشق الآخر إلى شق سائر في ركابها يعملون في خدمتها كأجهزة إيديولوجية يزينون أفعالها ويدافعون عن فشلها وهزائمها، ويبررون ما احدثته من تبديد للموارد أو تدمير للمكتسبات.

ومن يتصادم مع السلطة ير أنها فاقدة الشرعية، حيث أقامت سلطتها على شرعية داخلية تعتمد الدعاية لا الصياغة، ولأن المثقف يمثل ضمير الأمة، فإن حركة التغيير تحتاج إلى المثقف في بناء نماذجها، إذ إن المعارضة للدولة ورجالها لا تتمكن في نفوس الناس ولا تنتشر إلا إذا ارتبطت برموز ونماذج وشعارات تعين البديل.

والمثقف الحقيقي هو النموذج المعين؛ لأنه يرى أن تجنب المخاطر في مواجهة السلطة عار، ومن هنا فإن أكثر الشهداء، والمعتقلين، والمنفيين، والملاحقين قضائياً، والمطاردين من أجهزة المخابرات، مثقفون، وقد برهنت لديهم كل تجارب التقارب مع السلطة عدم جدوى ذلك؛ فالمثقفون الذين قبلوا بالعمل معها وجدوا أنفسهم ينخرطون في سلطة لا تعبر عنهم تماماً، وأنهم شرعوا يخدمون سلطة قد تتعارض مع أفكارهم بشكل كامل فأقل ما يمكن أن يصفوا أنفسهم به أنهم مثقفون اعتذاريون، وأقسى ما يصفهم به الآخرون أنهم محامو الشيطان.

والتجسير لا جدوى منه لسببين؛ الأول: لأنه اقتراح ثقافي لا تستخدمه السلطة إلا حين الحاجة، والثاني إذا استخدمته وكانت بحاجة إليه: فهو يعني عندها فتح باب الارتزاق على مصراعيه. والمقابل صمت أو تواطؤ مرحلي من قبل المثقف.

عند تحليل مسوغات التصادم مع السلطة، نجد أن جانباً منها يعود إلى طبيعة المثقف، ولكن الجزء الأكبر يرجع إلى ممارسات السلطة وإلى طبيعة نظرها للمثقف ومحاولتها المستمرة إقصاءه كشريك لها في مقاسمة الأرضية الاجتماعية، كما يستند شق كبير على الحق العام. في الجانب الأول يتماهى أكثر المثقفين مع بند الذي يطلب من المثقفين تعريض أنفسهم للخطر في مواجهة السلطة، وأن يكونوا في حالة معارضة شبه دائمة للوضع الراهن، وهذا معناه - عند بعض الباحثين - أن دوره الإيجابي يتضح عندما يكون راديكالياً بالمعنى الدقيق للعبارة أياً كان ثمن هذه الراديكالية، ويعزز ذلك، الفهم الجمعي لكلمة المثقف، التي تحيل في استعمالاتها العامة والخاصة - كما يرى بعض الباحثين - إلى معارضة السلطة، وهذا راجع إلى أن الحرية بصفة عامة لدى المثقفين العرب تنبع من مفهوم التحرر من كل الضغوط التي تمارس على الفرد أو الجماعة.

وفي الجانب الآخر أي الأسباب التي ترجع إلى طبيعة النظام السياسي، فإن المثقف يرى أن معظم الأنظمة عندنا فاقدة للشرعية؛ تتوارث بعضها الحكم نتيجة ظروف تاريخية أو بواسطة انقلابات عسكرية، فهي إما قمعية أو شمولية، ومن هنا فهي تصادر حق المثقف في فهم ما يجري بل تهمش دوره؛ لأنها تعتقد أنها أكثر قدرة على الفهم من المثقفين. ومشكلتها أنها تغالط الواقع من حولها فتعمل على إحداث شبكة من العلاقات المأزومة مع الثقافة والمثقفين. ويستعير النظام الآلية نفسها التي كان يستخدمها حكام الدولة الأموية، أي الاستمالة السياسية. والنتيجة هي توليد مثقفين يتمتعون بامتيازات معينة، ويتحدد وجودهم المبدئي واستمرارهم اللاحق بامتناع النظام عن وأدهم وبالتصاقهم بمؤسساته وشخوصه.

والمشكلة مع الأنظمة المستبدة لا تقف عند هذا الحد، بل تضيق على المثقف عيشه، إذ تستخدم الوظائف، وهي حق يكفله الدستور للمثقف بوصفه مواطناً قبل كونه مثقفاً، سلاحاً من أجل احتواء المثقفين أو تهميشهم أو تدجينهم، وتزاحمهم في مهنتهم إذ أصبح العسكر أدباء وشعراء ونقاداً ومدراء للجامعات وعلى رؤوس المؤسسات الثقافية والإعلامية، والنتيجة لا صوت يعلو على صوتهم، ولا ثقافة إلا ثقافة الحاكم الذي تم إخضاع الجميع لرؤيته؛ لأنها الحل النهائي والأخير.

ضمن صراعهما على الأرضية الاجتماعية، يرى بعض الدارسين أن قيادة المجتمع ليست هم الساسة فقط، وإنما في أس اهتمام المثقف الحق، ولذلك لا مبرر على استحواذ السلطة بالجماهير. وقد كان ذلك مؤثراً في المثقف كثيراً، إذ إن عزله عن جماهيره وعن المجتمع عامة، معناه أن الدولة تقف ضد تحقيق مشروعاته. وفي الحق العام، فإن أول مطلب للمثقف ضمن هذا الجانب، هو عودة الحياة السياسية للانتظام وفق منظومة طبيعية بعيداً عن الحالة الاستثنائية التي أوصلت العسكر إلى السلطة، فهؤلاء يجب أن يعودوا إلى ثكناتهم، ولا يمكن أن يسمح لهم باختراق المجتمع المدني، ومن الإمكانات الكبيرة التي يتيحها الحق العام للمثقف وغيره أن المواطنين من حقهم محاسبة حكوماتهم ومن واجبها أن تضمن لهم هذا الحق، أما أن تفعل العكس بحيث لا توجد إلا سياقات لا تسمح بحرية الفكر والعلم إلا ما يخدم النخبة الحاكمة، فهذا ما يدفع إلى رفضها ومقاومتها[1].

---

١. تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث: د. محمود محمد املودة، ص٥١-٥٦.



الأقوال في الخير

اعلم ان الغاية في تهذيب النفس عن الرذائل وتكميلها بالفضائل هو الوصول إلى الخير والسعادة. والسلف من الحكماء قالوا: إن «الخير» على قسمين مطلق ومضاف، والمطلق هو المقصود من ايجاد الكل، إذ الكل يتشوقه وهو غاية الغايات، والمضاف ما يتوصل به إلى المطلق. و«السعادة» هو وصل كل شخص بحركته الإرادية النفسانية إلى كماله الكامن في جبلته. وعلى هذا فالفرق بين الخير والسعادة أن الخير لا يختلف بالنسبة إلى الأشخاص والسعادة تختلف بالقياس اليهم.

ثم الظاهر من كلام ارسطاطاليس أن الخير المطلق هو الكمالات النفسية والمضاف ما يكون معدا لتحصيلها كالتعلم والصحة، أو نافعاً فيه كالمكنة والثروة. وأما السعادة فعند الأقدمين من الحكماء راجعة إلى النفوس فقط، وقالوا ليس للبدن فيها حظ، فحصروها في الأخلاق الفاضلة، واحتجوا على ذلك بأن حقيقة الانسان هي النفس الناطقة والبدن آلة لها، فلا يكون ما يعد كمالا له سعادة للانسان.

وعند المتأخرين منهم كأرسطو ومن تابعه راجعة إلى الشخص حيث التركيب، سواء تعلقت بنفسه أو بدنه، لأن كل ما يلائم جزءاً من شخص معين فهو سعادة جزئية بالنسبة اليه، مع انه يتعسر صدور الأفعال الجملية بدون اليسار، وكثرة الأعوان والأنصار، والبخت المسعود، وغير ذلك مما لا يرجع إلى النفس، ولذا قسموا السعادة إلى ما يتعلق بالبدن من حيث هو كالصحة واعتدال المزاج، وإلى ما يتوصل به إلى إفشاء العوارف، ومثله مما يوجب استحقاق المدح كالمال وكثرة الأعوان، وإلى ما يوجب حسن الحديث وشيوع المحمدة، وإلى ما يتعلق بإنجاح المقاصد والأغراض على مقتضى الأمل، وإلى ما يرجع إلى النفس من الحكمة والأخلاق المرضية، وقالوا كمال السعادة لا يحصل بدون هذه الخمسة، وبقدر النقصان فيها تنقص. قالوا وفوق ذلك سعادة محضة لا تدانيها سعادة، وهو ما يفيض الله سبحانه على بعض عباده من المواهب، والاشراقات العملية، والابتهاجات العقلية بدون سبب ظاهرة.

ثم الأقدمون لذهابهم إلى نفي السعادة للبدن صرحوا بأن السعادة العظمى لا تحصل للنفس ما دامت متعلقة بالبدن، وملوثة بالكدورات الطبيعية، والشواغل المادية، بل حصولها موقوف عنها، لأن السعادة المطلقة لا تحصل لها ما لم تصر مشرقة بالاشراقات العقلية، ومضيئة بالأنوار الإلهية، بحيث يطلق عليها اسم التام، وذلك موقوف على تخليصها التام عن الظلمة الهيولانية، والقصورات المادية.

وأما المعلم الأول واتباعه فقالوا إن السعادة العظمى تحصل للنفس مع تعلقها بالبدن أيضاً، لبداهة حصولها لمن استجمع الفضائل بأسرها، واشتغل بتكميل غيره. وما أقبح أن يقال مثله ناقص وإذا مات يصير تاماً، فالسعادة لها مراتب، ويحصل للنفس الترقي في مدارجها بالمجاهدة إلى أن تصل إلى أقصاها وحينئذ يحصل تمامها وإن كان قبل المفارقة، وتكون باقية بعدها أيضاً.

ثم المتأخرون عن الطائفتين من حكماء الإسلام قالوا ان السعادة في الأحياء لا تتم إلا باجتماع ما يتعلق بالروح والبدن، وأدناها ان تغلب السعادة البدنية على النفسية بالفعل، إلا أن الشوق إلى الثانية، والحرص على اكتسابها يكون أغلب، وأقصاها أن تكون الفعلية والشوق كلاهما في الثانية أكثر، إلا انه قد يقع الالتفات إلى هذا العالم وتنظيم أموره بالعرض.

وأما في الأموات فيختص بما يتعلق بالنفس فقط لاستغنائهم عن الأمور البدنية، فتختص السعادة فيهم بالملكات الفاضلة، والعلوم الحقة اليقينية، والوصول إلى مشاهدة جمال الأبد، ومعاينة جمال السرمد. وقالوا إن الاولى لشوبها بالزخارف الحسية، والكدورات الطبيعية ناقصة كدرة، وأما الثانية فلخلوها عنها تامة صافية، لأن المتصف بها يكون أبداً مستنيراً بالأنوار الإلهية، مستضيئاً بالأضواء العقلية، مُستَهتَراً[1] بذكر الله انسه، مستغرقاً في بحر عظمته وقدسه، وليس له التفات إلى ما سوى ذلك، ولا يتصور له تحسر على فقد لذة أو محبوب، ولا شوق إلى طلب شيء مرغوب، ولا رغبة إلى أمر من الامور، ولا رهبة من وقوع محذور، بل يكون منصرفاً بجزئه العقلي مقصوراً همه على الامور الإلهية من دون التفات إلى غيرها. وهذا القول ترجيح لطريقة المعلم الأول من حيث اثبات سعادة للبدن، ولطريقة الأقدمين من حيث نفي حصول السعادة العظمى للنفس ما دامت متعلقة بالبدن. وهو «الحق المختار» عندنا، إذ لا ريب في كون ما هو وصلة إلى السعادة المطلقة سعادة اضافية. ومعلوم أن غرض القائل يكون متعلقات الأبدان كالصحة والمال والأعوان سعادة إذا جعلت آلة لتحصيل السعادة الحقيقية لا مُطلقاً، إذ لا يقول عاقل ان الصحة الجسمية، والحطام الدنيوي سعادة، ولو جعلت وسيلة إلى اكتساب سخط الله وعقابه، وحاجبة عن الوصول إلى دار كرامته وثوابه. وكذا لا ريب في أن النفس ما دامت متعلقة بالبدن مقيدة في سجن الطبيعة لا يحصل لها العقل الفعلي، ولا تنكشف لها الحقائق كما هي عليه انكشافا تاماً، ولا تصل إلى حقيقة ما يترتب على العلم والعمل من الابتهاجات العقلية واللذات الحقيقية. ولو حصلت لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون في آن واحد ويمر كالبرق الخاطف.

هذا وقد ظهر من كلمات الجميع أن حقيقة الخير والسعادة ليست إلا المعارف الحقة، والأخلاق الطيبة، والأمر وإن كان كذلك من حيث ان حيقتهما ما يكون مطلوباً لذاته، وباقياً مع النفس أبدا وهما كذلك، إلا انه لا ريب في ان ما يترتب عليهما من حب الله وانسه، والابتهاجات العقلائية، واللذات الروحانية مغاير لهما من حيث الإعتبار، وان لم ينفك عنهما، ومطلوبيته لذاته أشد وأقوى، فهو باسم الخير والسعادة أولى وأحرى، وإن كان الجميع خيراً وسعادة. وبذلك يحصل الجمع بين أقوال أرباب النظر والاستدلال، وأصحاب الكشف والحال، وأخوان الظاهر من أهل المقال، حيث ذهبت «الفرقة الأولى» إلى ان حقيقة السعادة هو العقل والعلم، و «الثانية» إلى انها العشق، و«الثالثة» إلى انها الزهد، وترك الدنيا.

لا تحصل السعادة إلا باصلاح جميع الصفات والقوى دائما

لا تحصل السعادة إلا باصلاح جميع الصفات والقوى دائماً، فلا تحصل باصلاحها بعضاً دون بعض، ووقتاً دون وقت، كما ان الصحة الجسمية، وتدبير المنزل، وسياسة المدن لا تحصل إلا باصلاح جميع الأعضاء والأشخاص ولطوائف في جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته وأفعاله على وجه الثبوت والدوام بحيث لا يغيره تغير الأحوال والأزمان، فلا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن، ولا شكره بورود النوائب والمحن، ولا يقينه بكثرة الشبهات، ولا رضاه بأعظم النكبات، ولا احسانه بالاساءة، ولا صداقته بالعداوة. وبالجملة: لا يحصل التفاوت في حاله، ولو ورد عليه ما ورد على ايوب النبي عليه السلام أو على برناس الحكيم، لشهامة ذاته، ورسوخ اخلاقه وصفاته، وعدم مبالاته بعوارض الطبيعة، وابتهاجه بنورانيته وملكاته الشريفة. بل السعيد الواقعي لتجرده وتعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبائع الفلكية، متعال عن تأثير الكواكب والاجرام الأثيرية فلا يتأثر عن سعدها ونحسها، ولا ينفعل عن قمرها وشمسها. أهل التسبيح والتقديس لا يبالون بالتثليث والتسديس، وربما بلغ تجردهم وقوة نفوسهم مرتبة تحصل لهم ملكة الاقتدار على التصرف في موارد الكائنات، ولو في الأفلاك وما فيها، كما حصل لفخر الأنبياء وسيد الأوصياء صلوات الله عليهما وآلهما من شق القمر ورد الشمس.

وقد ظهر مما ذكر ان من يجزع بورود المصائب الدنيوية، ويضطرب من الكدورات الطبيعية، ويدخل نفسه في معرض شماتة الأعداء وترحم الأحباء، خارج عن زمرة السعداء، لضعف غريزته وغلبة الجبن على طبيعته، وعدم نيله بعد إلى الابتهاجات التي تدفع عن النفس امثال ذلك. ومثله لو تكلف الصبر والرضا وتشبه ظاهراً بالسعداء لكان في الباطن متألماً مضطرباً، وهذا ليس سعادة لأن السعادة الواقعية انما هو صيرورة الأخلاق الفاضلة ملكات راسخة بحيث لا تغيرها المغيرات ظاهراً وباطناً. بلغنا الله وجميع الطالبين إلى هذا المقام الشريف.

غاية السعادة التشبه بالمبدأ

صرح الحكماء بأن غاية المراتب للسعادة أن يتشبه الانسان في صفاته بالمبدأ: بأن يصدر عنه الجميل لكونه جميلا، لا لغرض آخر من جلب منفعة، أو دفع مضرة، وإنما يتحقق ذلك إذا صارت حقيقته المعبر عنها بالعقل الإلهي والنفس الناطقة خيراً محضاً، بأن يتطهر عن جميع الخبائث الجسمانية، والأقذار الحيوانية، ولا يحوم حول شيء من العوارض الطبيعية، والخواطر النفسانية، ويمتلئ من الأنوار الإلهية، والمعارف الحقيقية، ويتيقن بالحقائق الحقة الواقعية، ويصير عقلاً محضاً بحيث يصير جميع معقولاته كالقضايا الأولية، بل يصير ظهورها أشد، وانكشافها أتم، وحينئذ يكون له اسوة حسنة بالله سبحانه، في صدور الأفعال وتصير إلهية أي شبيهة بأفعال الله سبحانه في أنه لصرافة حسنه يقتضي الحسن، ولمحوضة جماله يصدر عنه الجميل من دون داع خارجي، فتكون ذاته غاية فعله، وفعله غرضه بعينه، وكلما يصدر عنه بالذات وبالقصد الأول فانما يصدر لأجل ذاته، وذات الفعل وان ترشحت منه الفوائد الكثيرة على الغير بالقصد الثاني وبالعرض. قالوا وإذا بلغ الانسان هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الإلهية، واللذة الحقيقية الذاتية، فيشمئز طبعه من اللذات الحسية الحيوانية، لأن من أدرك اللذة الحقيقية علم انها لذة ذاتية، والحسية ليست لذة بالحقيقة لتصرمها ودثورها وكونها دفع ألم.

وأنت خبير بأن هذا التصريح محل تأمل لمخالفته ظواهر الشرع فتأمل[2].

---

١. مستهتراً به على بناء اسم المفعول أي مولع به.

٢. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، ج١، ص٤٨-٥٣.



من هو النّبي؟ ومن هو الرّسول؟ وأفضلية الأنبياء على الملائكة؟

بـــعد أن أتممنا الكلام عن أصلين من أصول الدين هما (التوحيد والعدل) نشرع مع القارئ العزيز في إيضاح عدة مباحث تتعلق بالأصل الثالث (النبوة)، راجين من الله التوفيق وللقارئ الفائدة والمنفعة.

من هو النبي؟

وردت عدة تعاريف لمصطلح النبي نختار منها ما أورده ابن ميثم البحراني في (قواعد المرام في علم الكلام ص ١٢٢) حيث قال: (إنه الإنسان المأمور من السماء بإصلاح أحوال الناس في معاشهم ومعادهم العالم بكيفية ذلك، المستغني في علومه، وأمره من السماء لا عن واسطة البشر، المقترنة دعواه للنبوة بأمور خارقة للعادة).

وقد عرفه العلامة الحلي في كتابه (النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ص ٨١ ـ ٨٢) بقوله: (بأنه الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، فبقيد الإنسان يخرج الملك، وبقيد المخبر عن الله يخرج المخبر عن غيره، وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الإمام والعالم، فإنهما مخبران عن الله تعالى بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله).

وعرف السيد عبد الله شبر في (الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة ص٤٠) النبوة بقوله: (والنبوة في الأصل بمعنى الرفعة وسمي النبي نبيا لأنه ارتفع وشرف على سائر الخلق).

أقول: ولا اختلاف في جميع هذه التعاريف ويمكن لنا الجمع فيما بينها، فالنبي هو المخبر عن السماء بغير واسطة بشرية وهو المأمور من قبل الله سبحانه بإصلاح أحوال الناس وإرشادهم لما يصلح أحوالهم المادية والمعنوية، وهو الذي إنما انتخب من دون الناس جميعا واصطفي بسبب ارتفاع منزلته وعلو شرفه على سائر الخلق.

من هو الرسول؟

وردت في تعريف الرسول والتمييز فيما بينه وبين النبي عدة أقوال منها:

١: ان الرسول هو الذي معه كتاب ككتاب التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من كتب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فكل من له كتاب فهو رسول، وكل من ليس لديه كتاب فهو نبي، هكذا قال غير واحد من المفسرين.

وقد استشكل السيد علي خان المدني على هذا التعريف في كتابه (رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام) بقوله: (وفيه بحث لأن لوطا وإسماعيل وأيوب ويونس وهارون كانوا مرسلين كما ورد في التنزيل، ولم يكونوا أصحاب كتب مستقلة).

٢: وقيل إن الرسول هو: (من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، كعيسى وموسى ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان لكل هؤلاء شريعة، أما النبي فهو من يبعثه الله لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام).

٣: وقيل ان الرسول هو: (من يأتيه الملك بالوحي عيانا ومشافهة، والنبي هو من يوحى إليه في المنام) وهذا المعنى مروي عن الإمامين الصادق والباقر صلوات الله وسلامه عليهما، فقد روى الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه في (الكافي ج١ ص ١٧٧) عن بريد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) ... قلت: جعلت فداك ليست هذه قراءتنا فما الرسول

والنبي...؟ قال: الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه والنبي هو الذي يرى في منامه وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد).

وعن زرارة قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: " وكان رسولا نبيا" ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك).

وعلى أي الأحوال فانه يتقرر لنا ان صفة النبوة صفة مشتركة فيما بين الرسول وبين نفس النبي، بعكس صفة الرسالة فانها صفة خاصة ببعض الأنبياء دون البعض الآخر، فكل رسول هو نبي، وليس كل نبي هو رسول، وكذلك يتقرر ان الرسول أعلى وارفع رتبة من النبي، وليس هنا محل تفصيل هذه المسالة.

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أفضل من الملائكة عليهم السلام

اجتمعت كلمة الشيعة على ان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل من الملائكة وقد نقل السيد المرتضى هذا الإجماع في (رسائل المرتضى ج١ ص١٠٩ ـ ١١٠) بقوله: (وقد أجمعت الإمامية بلا خلاف بينها على أن كل واحد من الأنبياء أفضل وأكثر ثوابا من كل واحد من الملائكة. وذهبوا في الأئمة عليهم السلام أيضا إلى مثل ذلك. وإجماع الإمامية حجة على ما بيناه، فيجب القطع بهذه الحجة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة على جماعتهم).

وقال في (ج٢ ص١٥٦): (والمعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة إجماع الشيعة الإمامية على ذلك، لأنهم لا يختلفون في هذا، بل يزيدون عليه ويذهبون إلى أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة. وإجماعهم حجة لأن المعصوم في جملتهم).

وقال الشيخ الصدوق في كتابه (الاعتقادات في دين الإمامية ص٨٩): (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والحجج صلوات الله عليهم أنهم أفضل من الملائكة).

ووافق جمهور أهل السنة فكرة كون الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل من الملائكة، وفي هذا الصدد يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم (ج١٧ ص٣): (ومذهب أصحابنا وغيرهم ان الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى في بني إسرائيل وفضلناهم على العالمين والملائكة من العالمين).

وقال الرازي في تفسيره (ج ٢ ص ٢١٥ ـ ٢١٦): (قال أكثر أهل السنة: الأنبياء أفضل من الملائكة وقالت المعتزلة بل الملائكة أفضل من الأنبياء. وهو قول جمهور الشيعة، وهذا القول اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني من المتكلمين منا وأبي عبد الله الحليمي من فقهائنا).

وقد استدل المحقق الحلي في كتابه (المسلك في أصول الدين ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩) على أفضلية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم على الملائكة بعدة أدلة نختار منها قوله رضوان الله تعالى عليه: (طاعة البشر أشق من طاعة الملك، فيكون أكثر ثوابا. أما الأولى ـ وهو ان طاعة البشر اشق من طاعة الملك ـ فلأن الإنسان ينازع شهواته إلى الملاذ المحرمة، ويدافع نفراته عن الأوامر اللازمة، فيحصل مصادمة طبيعية تستلزم المشقة لا محالة، وأما الثانية ـ وهوان طاعة البشر أكثر ثوابا ـ فلقوله ـ عليه السلام ـ: (أفضل العبادات أحمزها) أي أشقها...).

وجوب الاعتقاد بالنبوة كأصل ثالث من أصول الدين

قال الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه في كتابه (الهداية ص٢١): (أن النبوة حق كما اعتقدنا أن التوحيد حق...وأن قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأنهم لم ينطقوا إلا عن الله تبارك وتعالى وعن وحيه. وأن سادة الأنبياء خمسة، الذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع، وهم أولوا العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم.

وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم سيدهم وأفضلهم، وأنه جاء بالحق، وصدق المرسلين، وأن الذين كذبوه ذائقوا العذاب الأليم، وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقرارا به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر...وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وسبقه إلى الإقرار به. ويعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لولاهم ما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئا مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين) انتهى كلامه رفع الله في الجنة مقامه.

وقال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه أيضا في (المقنعة ص٣٠ ـ ٣٢): (ويجب أن يعتقد التصديق لكل الأنبياء عليهم السلام وأنهم حجج الله على من بعثهم إليه من الأمم، والسفراء بينه وبينهم، وأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وآله خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، وأن شريعته ناسخة لما تقدمها من الشرائع المخالفة لها، وأنه لا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب على الله تعالى...ويجب اعتقاد نبوة جميع من تضمن الخبر عن نبوته القرآن على التفصيل، واعتقاد الجملة منهم على الإجمال، ويعتقد أنهم كانوا معصومين من الخطأ، موفقين للصواب، صادقين عن الله تعالى في جميع ما أدوه إلى العباد وفي كل شئ أخبروا به على جميع الأحوال، وأن طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية لله...وأن محمدا صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، كما قدمناه).

وقال الشيخ جعفر كاشف الغطاء في (كشف الغطاء ج٢ ص٤٣٨): (ويدخل في حكم الكافر الأصلي المنكر لوجود الصانع والمشرك والجاحد والمنافق والمعاند وكافر النعمة وعبدة بعض المخلوقات ومنكر النبوة والمعاد).

الشيخ محمد بن علي الصدوق

المولود بدعاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

اسمه ونسبه

هو الشيخ الأجل الأقدم أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ويعرف بالصدوق، وابن بابويه، ويطلق عليه وعلى أبيه الصدوقان وابنا بابويه والفقيهان، وإذا قيل: ابن بابويه مطلقا فالمراد به الصدوق، وكذا إذا قيل: قال ابن بابويه في كتابه، فالمراد بالكتاب كتاب من لا يحضره الفقيه. وكانت أمه جارية ديلمية.

إخبار الإمام المهدي عليه السلام بولادته وفقاهته وبركته

روى النجاشي في رجاله ان علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رحمه الله والد الشيخ الصدوق لما قدم إلى العراق اجتمع مع الحسين بن روح رحمه الله النائب الخاص للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، ولم يكن آنذاك له ولد «وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد فكتب إليه: "قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين". فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد. وكان أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر ـ الشيخ الصدوق ـ يقول: "أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام" ويفتخر بذلك».

آثاره العلمية

بلغ عدد مصنفات الشيخ الصدوق رحمه الله ما يناهز ثلاثمائة كتاب، وقد ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست أن عدد كتب الصدوق يقرب من ٣٠٠ كتاب ثم سمى ما يربو على الستين منها، ويقول في رجاله: له مصنفات كثيرة. كما أن ابن شهر آشوب ذكر بأن مصنفات الصدوق رحمه الله ٣٠٠ مصنفا سمى منها أكثر من سبعين. ولم يحدد النجاشي مجموع ما صنفه الصدوق رحمه الله غير أنه يقول: له كتب كثيرة، ثم يذكر أسماء ما يقرب ٢٠٠ منها. وقد صرح الشيخ الصدوق رحمه الله في مقدمة الفقيه أن مؤلفاته بلغت ٢٤٥، والفقيه هو المصنف ٢٤٦ من مصنفاته.

كلمات الأعلام في شأنه

لقد أسهب علماء الرجال وأساطين الفقهاء منذ عصر الشيخ الصدوق رحمه الله حتى يومنا هذا بالثناء عليه والإشادة بما يدل على جلالة قدره وعظمة شأنه لديهم، وهنا نشير إلى شذرات مما قاله أساطين العلماء بحقه:

١: قال الشيخ النجاشي: (محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو جعفر، نزيل الري، شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن).

٢: وقال شيخ الطائفة الطوسي في رجاله: (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي يكنى أبا جعفر جليل القدر، حفظة بصير بالفقه والأخبار والرجال... لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه).

٣: وقال السيد محمد باقر المعروف بميرداماد: (الصدوق عروة الإسلام أبو جعفر ابن بابويه القمي فإنه جليل القدر، عميق الغور، حافظ للأحاديث، بصير بالرجال، ناقد للأخبار بالغ في حفظه وضبطه ونقده وكثرة علمه الأمد الأقصى، وهو وجه الطائفة ورأسها وفقيه الأصحاب وشيخهم) وقال في وصفه ووصف أبيه: (الصدوقان الفقيهان الأقدمان البابويهان: أبو جعفر محمد وأبوه أبو الحسن علي «رضي الله عنهما»...وهما في المعرفة بالأخبار في الأحاديث بحيث لا يقاسان بغيرهما في المرتبة ولا يوازن بهما أحد في الدرجة...).

٤: المولى محمد تقي المجلسي: (وثقه جميع الأصحاب لما حكموا بصحة أخبار كتابه، بل هو ركن من أركان الدين جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء).

٥: العلامة محمد باقر المجلسي: (الصدوق من عظماء القدماء التابعين لآثار الأئمة النجباء الذين لا يتبعون الآراء والأهواء، ولذا ينزل أكثر أصحابنا كلامه وكلام أبيه رضي الله عنهما منزلة النص المنقول والخبر المأثور).

وفاته ومدفنه رضوان الله تعالى عليه

توفي رحمه الله في الري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة عن عمر ناهز السبعين ودفن قريبا من قبر السيد عبد العظيم الحسني رحمه الله الموجود في منطقة شهر ري في إيران وقبره معروف عليه قبة، وقال العلامة المامقاني في تنقيح المقال بذيل ترجمته: ومما يشهد بجلالته مضافا إلى ما مر، ما روي لي بسند صحيح قبل أربعين سنة عن العدل الثقة الأمين السيد إبراهيم اللواساني الطهراني قدس سره [المتوفى سنة ١٣٠٩] أن في أواخر المائة الثالثة بعد الألف هدم السيل قبره وبان جسده الشريف، وكان هو ممن دخل القبر ورأى أن جسده الشريف صحيح سالم لم يتغير أصلا وكأن روحه قد خرجت منه في ذلك الآن وإن لون الحناء بلحيته المباركة وصفرة حناء تحت رجليه موجودة وكفنه بال، وقد نسج على عورته العنكبوت، أنظر يرحمك الله تعالى إلى كرامتين للرجل، إحداهما: عدم بلي جسده الشريف في مدة تسعمائة سنة تقريبا وعدم تغيره أصلا والأخرى نسج العنكبوت بأمر رب الملكوت على عورته حتى لا ترى ولا تزول حرمته).

من أسرار الاستخارة

سمعت آية الله الحاج السيد محمد علي المدادي «دام ظله» ـ وهو من علماء مشهد المقدسة ـ نقلاً عن آية الله الحاج السيد موسى زنجاني الشبيري «دام ظله» ـ وهو من علماء قم المقدسة ـ أن العالم الورع المرحوم الحاج الشيخ إبراهيم كلباسي كان يستخير الله تعالى في كل شيء، فذات مرة دعاه أحد المؤمنين إلى مائدة ودعا على شرفه جمعاً من الأشخاص والوجهاء، فوافق الشيخ وهو ناس للاستخارة كما كانت عادته.

ولكنه تذكرها قبل أن يحين الموعد، فاستخار وجاءت خيرته للذهاب إلى الدعوة غير جيدة، فاعتذر للرجل عن المجيء، الا أن علامات عدم الارتياح ظهرت على وجه الرجل، فقال أنا دعوت أولئك الجمع على شرفك، فكيف اخبرهم الآن بانتفاء الدعوة!

وكأني بك أيها القارئ ترفع صوتك على الشيخ تضامناً مع شعور صاحب الدعوة فتقول: أهذا وقت الاستخارة يا شيخ؟!

ولكن الشيخ تدارك الموقف وقدر إحساس الرجل فقال له: إذن قل لهم إنّ الدعوة قد انتقلت إلى بيتنا، فاتوني جميعاً، وكان هذا هو الحل الوسط حيث لا ينفي الدعوة فينحرج الرجل مع المدعوين ولا يخالف الشيخ استخارته.

والعجيب بل المدهش انه وبينما كان المدعوون قد انتهوا من الأكل في بيت الشيخ، وإذا بنبأ يداهمهم، وهو أن سقف الحجرة في بيت الرجل الداعي والتي كان الضيوف يفترض جلوسهم فيها قد سقط والهارت الحجرة! فالجميع وبما فيهم الرجل رفعوا أيديهم شكراً لله تعالى الهم لم يكونوا تحته.

وبالطبع قبلوا يد الشيخ كلباسي وزاد اعتقادهم في استخارته، وهل زاد اعتقادك أنت أيضاً؟

شعر على الدرب

سافر المرحوم آية الله العظمى السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي ـ المتوفى سنة ١٢١٢هـ «طاب ثراه» من النجف الاشرف إلى كربلاء مشيا على الأقدام وذلك لزيارة الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام، وكان معه جمع من الأدباء والعلماء ولما وصلوا إلى احد منازل الطريق، استراحوا ساعة من التعب، ثم أرادوا مواصلة المسير لضيق وقت الزيارة، فلم يتمكن السيد بحر العلوم من مواصلة الدرب لضعفه ونحافة جسمه، فارتجل بيتين من الشعر:

صار لي من فرط ضعفي وطن في كل وادي
ودموعي صيرت لي بقعة في كل نادي[1]

---

١. معارف الرجال: ج١ ـ ص٦٤، مع تصرف بسيط.

بعض اضطرابات النوم عند الأطفال

١. أهمية النوم للطفل

يعد النوم عملية على جانب كبير من الأهمية في حياة الإنسان بشكل عام، وفي حياة الطفل بشكل خاص. فهو ضروري من أجل احتفاظ جسمه بطاقته ونشاطه. ومن أجل تجديد هذه الطاقة وهذا النشاط. فالطفل يستطيع أن يتمتع بما يهيئه له النوم من فوائد و مزايا إذا تكونت لديه العادات الطيبة الخاصة بالنوم. وتكوين هذه العادات يصبح أمراً بسيطاً وسهلاً جداً في السنوات الأولى التي تسبق دخول الطفل إلى المدرسة، وبناء على ذلك ينبغي غرس عادات النوم منذ ولادة الطفل، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن كم ساعة يجب أن ينام الطفل؟.

وللجواب عن هذا السؤال لا بد من العودة إلى الكتب والمراجع الطبية التي تنص على أن الطفل في الشهور الأولى يحتاج إلى ساعات نوم تصل إلى ست عشرة ساعة، وترتفع أحياناً إلى عشرين ساعة. وعندما يتم عامه الأول فإنه يحتاج إلى أربع عشرة ساعة نوم، قد ترتفع إلى ست عشرة ساعة، وفي عامه الثاني قد ينام أربع عشرة ساعة فقط، وقد تصل بعد ذلك إلى اثنتي عشرة ساعة عندما يصل إلى السادسة من عمره. ثم تنخفض إلى إحدى عشرة ساعة عندما يصبح عمره تسعة أعوام، ثم تصبح عشر ساعات عندما يبلغ الثانية عشرة من عمره. وهكذا نرى أن على الطفل أن يذهب من الثامنة مساءً إلى الفراش ليستيقظ في السادسة صباحاً إذا كان في سن الدراسة.

إلا أنه لعلماء التربية رأي آخر: إذ يرى هؤلاء وجود اختلاف بين الأطفال بالنسبة لعدد ساعات النوم التي يجب أن ينامها الطفل بعد الميلاد، والسبب في هذا الاختلاف بين طفل وآخر هو أمر يعود إلى طبيعة الطفل، خصوصاً في الشهرين الأول والثاني من عمره. ذلك بسبب نوبات من المغص والصراخ ناتجة عن الجو الجديد الذي يختلف عن رحم أمه.

تكون نوبات الصراخ في الليل، وأحياناً أخرى تكون في النهار. وهنالك طفل على العكس من ذلك. ومن أسباب رفض الطفل للنوم صلابة الفراش الذي ينام عليه، أو ثقل الأغطية الموضوعة فوقه. هذه الأسباب تتحول بالتدريج إلى تكوين عادات فقدان النوم، وعدم الإغراق فيه ومن أسباب نوبات القلق لطفل ما قبل العامين ارتفاع درجة حرارته، أو ضيق تنفسه، أو ظهور أسنانه، أو التهوية السيئة لغرفة النوم، أو الخوف من الظلام.

أما الأطفال الذين بلغوا الثالثة من العمر فما فوق فقد يرفضون النوم بمفردهم، ويصرون على مصاحبة آبائهم. ويرفضون النوم في غرفة مظلمة نتيجة لأحلام مخيفة تنتابهم في الليل، أو نتيجة للقصص المخيفة التي يسمعونها عن العفاريت مثلاً. كما أن لانعزال الآباء عن الأطفال نهاراً أكثر من المعقول دوراً في رفض الطفل للنوم.

ومن الملاحظ أن الكثير من الأمهات اللواتي يستعملن النوم كعقاب أو تهديد، أو يعهدن بتربية الطفل للخدم أو المربيات اللواتي بدورهن يدفعن الطفل للنوم بشتى الوسائل التي قد تكون ضارة له. يضاف إلى ذلك اتجاهات الوالدين الخاطئة عن مدة النوم ومتطلباته، وإجبار الطفل على النوم في وقت محدد حسب ظروف حياتهم.

٢. رفض الطفل للنوم

إن مسألة النوم يجب ألا تهمل، وألا تترك للطفل ليتحكم بها، فالطفل يميل إلى الصمود ويرفض النوم، لذلك لابد من خلق جو مناسب لنوم الطفل منذ الميلاد والأشهر الأولى حتى يستفيد من هذا النوم. ولابد أن يألف سريره ويوضع فيه لينام بمفرده دون معونة أحد.

وليس هنالك ضرورة ملحة لأرجحته أو غرس عادات كهذه، لأن في هذا أذى له وللآخرين القائمين على تربيته. كما أنه ينبغي ألا يعتاد النوم على زجاجة الحليب. أو ما نسميه المصاصة لأن الطفل يعتاد عليها ولا ينام دونها، ولهذه الأخيرة ضرر صحي له. وقد يصرخ الطفل حينما نضعه في فراشه لذلك ننصح بألا نقوم بترضيته بالأرجحة وخصوصاً في عامه الأول. لأن هذا يعوده أن يستيقظ ليلاً ويطالب بالأرجحة ليظل أكثر فترة ممكنة مع أمه.

هنا علينا وضع الطفل بسريره دون الاكتراث بالصراخ، وبعد ثلاثة أيام ستحل المشكلة، وللأطفال الذين تعدوا العام الأول أمر آخر، فقد يرفضون النوم بسبب التوتر بين الطفل وأمه، أو الإحساس بالذنب لأنه ارتكب بعض الأخطاء الصغيرة، أو مرت برأسه بعض الأفكار السيئة عن أحد أفراد أسرته. وقد يكون السبب هو الغيرة والتنافس بين الأطفال. وتبقى هنالك حقيقة لابد أن نتعرفها هو أن الطفل مرآة لأسرته في عادات النوم، ذلك أن الآباء يحبون دائماً أن ينقلوا لأطفالهم نظام حياتهم الذي عاشوه في طفولتهم. وهنالك آباء يعلنون الرفض لأسباب التربية أو نظام النوم الذي نشؤوا عليه. ولذلك نجدهم يتركون الحبل على الغارب إذا صح التعبير لأطفالهم في مسألة النوم. عدد كبير من الأمهات في مختلف بلاد الدنيا تأتي عليهم لحظة يصبح فيها نوم الطفل أملاً صغيراً تتمنى الأم أن يتحقق لتنجز ما وراءها من أعمال. هذا إلى جانب أن هذا النوع من الأمهات يؤمن أيضاً بأن النوم مسألة هامة وأساسية لنمو الطفل. وعندما تضع الأم طفلها في سريره يبدأ في إثارة المتاعب ورفض النوم. وتكون الأم في غاية الإرهاق والتوتر، لأنها قضت اليوم بطوله في العمل أو القيام بالأعمال المنزلية. وتجد ان الطفل لا يرحم، إنه لا يعي أن أمه مرهقة كما أنه يريد أن يتابع اللعب. وتزداد الأم غيظاً وضيقاً ونجد هذا الغيظ والضيق في صوتها حينما تقوله له. سأعاقبك على كل شيء فعلته طوال النهار. وسأمنعك من الخروج إلى الحديقة، وسأجعل والدك يضربك عندما يعود … سأفعل ذلك إذا لم تنم.

وهنا الأم تهدد طفلها، وتضع نفسها في مواجهة الطفل كهدف للعناء. وهنا يشعر الطفل بعداء للأم ورغبة في عنادها، لا لشيء إنما لأنها حولت النوم إلى موضوع للعناد وأسلوب من أساليب العقاب. ويصبح النوم جائزة لا يمنحها الطفل لأمه. لأنه يظل مستيقظاً. إن هذه الأم مخطئة بالطبع، وأم أخرى مرهقة عصبياً تقول لطفلها بغضب شديد واضح من نبرات صوتها: إن وقت النوم قد حان منذ ساعة عليك أن تذهب إلى سريرك. وهنا يتحول الطفل إلى محام يجيد المناقشة والدفاع، لأنه أصبح يعرف نقاط الضعف في أمه. ويتمادى في الدفاع عن حقه والسهر، وتستمر المناقشة بينه وبين أمه يومياً، وتستغرق كل يوم ساعة على الأقل كان يجب أن يقضيها الطفل في النوم. وقد تنجح الأم في إقناع طفلها بالنوم في بعض الأحيان وقد لا تنجح. لأن النوم هو أحد المواقف التي نعامل من خلالها الطفل، والأسلوب الناجح في إقناع الطفل يتوقف على أسلوب معاملتنا معه طوال الوقت وفي المجالات كافة.

وقد نسمح للطفل في بعض الأحيان بالسهر معنا ثم لا نسمح له وهذا خطأ. على أية حال هذا لا يعني فشلنا في التربية، فالتربية تحتاج لصبر وقدر من الإصرار والمثابرة وعدم التردد في حسم الأمور، ولذلك حتى يعرف الطفل أنه ليست هنالك ثغرة يفلت منها إلى حياة بلا نظام.

ولا يعد الضجيج سبباً في عدم نوم الطفل، وخاصة الأصوات العادية في المنزل كصوت التلفاز أو صوت أفراد الأسرة، وهذا يتعلق بطبيعة الطفل وحساسيته للأصوات. إذ يختلف الأمر من طفل لآخر وفي سنواته الأولى يمكن أن ندربه على النوم وسط أية ظروف. وتعد لحظة الاستيقاظ مشكلة بالنسبة لبعض الأمهات. إذ يستيقظ الطفل مبكراً وقد يزعج هذا الأمر الأهل لأنهم ما زالوا يحتاجون للنوم. فيأمرون الطفل بالنوم مزيداً من الساعات، لأن وقت الاستيقاظ لم يحن بعد. وعلى الأمهات أن تترك الطفل يستيقظ باكراً لأن ذلك سيجعله ينام باكراً.

وعلى الأم ألا تهرع مسرعة بالليل عندما يستيقظ طفلها حتى لا يشعر أنها بخدمته، وأنها متوترة لأجله، فالتغافل قليلاً يجعله يعود للنوم بمفرده. ومسألة النوم ليست غاية في التعقيد أو الصعوبة، إلا أنها مسألة تخضع لجدول محدد كما مر معنا سابقاً، وحاجة النوم تختلف من طفل لآخر حسب طبيعته الخاصة به.

٣. دور الأم في تدريب الطفل على النوم

إن الأم الواعية تدرب طفلها على النوم بوقت محدد وكذلك الاستيقاظ، وتسير على نفس النظام، وتكيف ظروفها مع الطفل حتى لا يخل بالنظام وألا تجبر طفلها على النوم أكثر من حاجته حتى لا تسبب له العناد والدفاع عن النفس. والأسرة الواعية تبعد عن طفلها كل المؤثرات السلبية. ولا مانع من أن تنام الأم بجانبه قليلاً لتمنحه الاستقرار والأمن والعطف لينام نوماً عميقاً. ويجب ألا نترك الطفل في المنزل بمفرده بعد أن ينام، لأن هذا يترك عليه آثاراً سلبية ومواقف عدائية تجاه النوم. ومن الهام جداً عدم السماح للطفل بالنوم بعد الظهر لأن هذا يجعله يسهر، وإن استيقاظ الطفل مبكراً وعدم السماح له بالنوم ظهراً ولو ليوم واحد يجعله ينام باكراً ويعتاد ذلك.

إن النوم بما له من أهمية كبيرة بالنسبة لصحة الطفل الجسمية والنفسية، يكتسب قيمة، لذا يجب أن نتجنب أي اضطراب فيه، ولو عملنا على تكوين عادات النوم السليمة منذ الأيام الأولى من حياته نحصل على نتائج جيدة[1].

---

١. تربية الطفل مشكلات وحلول ـ د. سلوى مرتضى، ص٣١ ـ ٣٥.



خبر المرأة وابن أبي روح مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه

روى الراوندي: عن أحمد بن أبي روح قال: وجهت إلي امرأة من أهل دينور، فأتيتها فقالت: يا بن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا ديناً وورعاً، وإني أريد أودعك أمانة أجعلها في رقبتك تؤديها وتقوم بها، فقلت: أفعل إن شاء الله تعالى.

فقالت: هذه دراهم في هذا الكيس المختوم، لا تحله ولا تنظر فيه حتى تؤديه إلى من يخبرك بما فيه، وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير، وفيه ثلاث حبات لؤلؤ تساوي عشرة دنانير، ولي إلى صاحب الزمان عليه السلام حاجة أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله عنها.

فقلت: وما الحاجة؟ قالت: عشرة دنانير استقرضتها أمي في عرسي لا ادري ممن استقرضتها ولا أدري إلى من أدفعها، فإن أخبرك بها فادفعها إلى من يأمرك بها، قال: فقلت في نفسي: وكيف أقول لجعفر بن علي، ـ يقصد به جعفر ابن الإمام علي الهادي المعروف بجعفر الكذاب الذي ادعى الإمامة زورا وكذبا ـ فقلت هذه المحنة بيني وبين جعفر.

فحملت المال وخرجت حتى دخلت بغداد، فأتيت حاجز بن يزيد الوشاء، فسلمت عليه وجلست، فقال: ألك حاجة؟ قلت: هذا مال دفع إلي لا ادفعه إليك حتى تخبرني كم هو؟ ومن دفعه إلي؟ فإن أخبرتني دفعته إليك. قال: لم أؤمر بأخذه، وهذه رقعة جاءتني بأمرك، وإذا فيها: لا تقبل من أحمد بن أبي روح، وتوجه به إلينا إلى سر من رأى فقلت: لا إله إلا الله هذا أجل شيء أردته.

فخرجت ووافيت سر من رأى، فقلت: ابدأ بجعفر، ثم تفكرت فقلت: أبدأ بهم، فإن كانت المحنة من عندهم وإلا مضيت إلى جعفر فدنوت من باب دار أبي محمد عليه السلام ـ يعني باب دار الإمام الحسن العسكري ـ، فخرج إلي خادم فقال: أنت أحمد بن أبي روح؟ قلت: نعم، قال: هذه الرقعة اقرأها، فقرأتها فإذا فيها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم يا بن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الديراني كيساً فيه ألف درهم بزعمك، وهو خلاف ما تظن، وقد أديت فيه الأمانة ولم تفتح الكيس ولم تدر ما فيه، وفيه ألف درهم وخمسون ديناراً صحاح، ومعك قرط زعمت المرأة انه يساوي عشرة دنانير، صدقت، مع الفصين اللذين فيه وفيه ثلاث حبات لؤلؤ شراؤها بعشرة دنانير، فادفع ذلك إلى خادمتنا فلانة، فإنا قد وهبناه لها، وصر إلى بغداد وادفع المال إلى الحاجز وخذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك.

وأما العشرة الدنانير التي زعمت أن أمها استقرضتها في عرسها وهي لا تدري من صاحبها، بل هي تعلم لمن، هي لكلثوم بنت أحمد، وهي ناصبية، فتحرجت أن تعطيها إياها، وأوجبت أن تقسمها في إخوانها، فاستأذنتنا في ذلك، فلتفرقها في ضعفاء إخوانها، ولا تعودن يا بن أبي روح إلى القول بجعفر والمحنة له، وارجع إلى منزلك فإن عدوك قد مات، وقد ورثك الله أهله وماله.

فرجعت إلى بغداد وناولت الكيس حاجزاً فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون ديناراً، فناولني ثلاثين ديناراً وقال: أمرت بدفعها إليك لنفقتك.

فأخذتها وانصرفت إلى الموضع الذي نزلت فيه ، فإذا أنا بفيج قد جاءني من منزلي يخبرني بأن حموي قد مات وأهلي يأمروني بالانصراف إليهم، فرجعت فإذا هو قد مات، وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم[1].



١. الخرائج والجرائح: ج٢ص٦٩٨ح١٦.

سرعة الضوء

بأواخر القرن التاسع عشر، كان اكتشاف السرعة الحقيقية للضوء يحظى بالقليل من الأهمية نظراً لتفرد الفلكيين باستعمال هذا الرقم (تقاس المسافات عبر الفضاء بالسنوات الضوئية Light years–أو ـ المسافة التي يقطعها الضوء في مدة سنة واحدة). وطالما كانت قياساتهم مجرد مقاربات بأية طريقة أخذت، فقد قبلوا الخطأ بنسبة ٥% (أو حتى ١٠%) من قيمة سرعة الضوء.

جاء بعدها ألبرت آينشتاين ليقدم معادلته الطاقية ـ المادية الشهيرة، طا = ك س ٢، التي رفعت من أسهم سرعة الضوء (س) في الحال ـ باعتبارها ضرورية في عدد ضخم من الحسابات ـ وقفز اكتشاف قيمتها الحقيقية إلى قمة الأولويات. أصبحت سرعة الضوء إحدى أهم قيمتين ثابتتين في الفيزياء برمته[1]، واستعظم الخطأ فيها بنسبة ١% (أو حتى ٠١%)، فأصبح غير مقبول فجأة في حسابات الفيزياء. لكن كانت هنالك عقبات جمة في طريق اكتشاف السرعة الحقيقية للضوء ـ سرعة أكبر من أن تقيسها أية ساعة كانت أو يتقصاها أي جهاز كان. ابتكر البرت ميكلسون بضعة أجهزة دقة جديدة وكان، بعد خمسين عاماً من المحاولات المتكررة، أول إنسان يقيس سرعة الضوء بدقة وإحكام. منح هذا الاكتشاف صاحبه أول جائزة نوبل تعطى لفيزيائي أمريكي[2].

كان هذا مثالاً لاكتشاف يعتمد على ابتكار تكنولوجيا ومعدات جديدة ـ تماماً كاعتماد غاليليو على ابتكار التلسكوب في اكتشافه لأقمار الكواكب الأخرى.

في عام ١٩٢٨م، كان العجوز ألبرت ميكلسون Albert Michelson ـ (٧٤) عاماً يكافح للقيام بآخر محاولة لقياس سرعة الضوء واكتشاف القيمة الحقيقية لـ (س) في معادلة آينشتاين الشهيرة. كان قد سبق له أن صمم ومول وأنجز العديد من المحاولات على مر خمسين عاماً فائتاً. أما هذه المرة، فقد عقد ميكلسون عزمه على قياس سرعة الضوء بخطأ لا يتعدى ٠،٠٠١%. تلك القيمة ستكون من الدقة ما يوافيها بأغراض الحسابات الهامة للفيزياء النووية.

قبلها بأربع سنوات، استعان مايكلسون بصانع الجيروسكوب[3] المشهور، إيلمر سبيري ليطور على المعدات المتوفرة لقياساته. والآن في عام ١٩٢٨م، كانت ثالث وآخر دفعة من التطويرات قد أجريت على المعدات، ممثلة باسطوانة ذات ثمانية أضلع تم تحميلها تواً في صندوق شحن محشو جيداً، ليصعد بها على الطريق الترابي الوعر المؤدي إلى قمة جبل بالدي بكاليفورنيا ـ مكان اختبارات ميكلسون.

لم تكن التجربة التي عمل ميكلسون على تصميمها بالمعقدة. إذ أنار ضوءاً على هذه الاسطوانة الصغيرة المزودة بمرآة، بينما تدور بسرعة عالية بفعل محرك (اخترعه سبيري أيضاً) بمقدوره الحفاظ على سرعة مضبوطة للدوران. في نقطة ما عند استدارتها، كانت المرآة ستصطف تماماً لعكس هذه الحزمة الضوئية باتجاه مرآة مقوسة ساكنة بآخر الغرفة. على أية حال، كانت المرآة الدائرة ستعكس الضوء على المرآة الساكنة لجزء صغير جداً من الثانية قبل أن تواكب دورانها بعيداً عن هذه نقطة.

وهكذا حصلت هذه المرآة المعلقة بالحائط الخلفي للغرفة على نبضات قصيرة من الضوء من كل وجه من أوجه المرآة الدائرة. انعكست كل نبضة من خلال عدسة تركيزية، لتخرج عبر فتحة في الجدار وتنطلق لمسافة ٢٢ ميلاً إلى جبل سان أنطونيو. هناك، ارتدت بعد ارتطامها بمرآة، لتعبر من خلال عدسة تركيزية ثانية فتعود مباشرة إلى جبل بالدي. هنا، وقعت نبضة الضوء على مرآة الجدار الخلفي من جديد، وأخيراً انعكست راجعة إلى الاسطوانة الدائرة. رغم أن كل نبضة من الضوء كملت رحلة الأربعة والأربعين ميلاً هذه بأقل من ١/ ٤٠٠٠ من الثانية، إلا أن الاسطوانة كانت تدور بعض الدوران في وقت رجوع كل نبضة ضوئية من جبل سان أنطونيو، فانعكس الضوء الراجع عن المرآة الدائرة وارتطم ببقعة من جدار الكوخ.

وبقياس الزاوية من الاسطوانة لهذه البقعة، تمكن ميكلسون من تحديد المسافة التي دارت بها الاسطوانة في الوقت الذي أكملت فيه نبضة الضوء رحلتها، والذي مكن ميكلسون بدوره من تحديد السرعة التي انتقل بها الضوء.

بينما يبدو كل شيء بسيطاً في هذه التجربة، إلا انها عانت أعواماً من العمل لتحسين المعدات الضرورية لإجرائها. فقد صنع سبيري ضوءاً أفضل يستطيع الانتقال ٤٤ ميلاً، كما صنع محرك دفع أكثر دقة بحيث يعلم ميكلسون بالضبط السرعة التي كانت الاسطوانة الصغيرة تدور بها في كل مرة.

صمم سبيري عدسات تركيزية ملساء أكثر، وكذلك اسطوانة أفضل مزودة بمرآة أحسن ـ بحيث لا تتمايل أو تتشوه جوانبها المرآتية بفعل القوى الهائلة للدوران عالي السرعة. بمجرد تشغيل ميكلسون للمحرك والضوء، انطلق السيل الضوئي خارجاً إلى جبل سان أنطونيو ومن ثم رجع، ارتطم بالاسطوانة الدائرة وسقط على الجدار البعيد ـ كل هذا بأسرع من تدارك البصر.

من سرعة دوران الاسطوانة وموقع تلك الإشارة على الحائط، حسب ميكلسون سرعة الضوء لتكون ١٨٦٢٨٤ ميلاً للثانية ـ مخالفا التقدير الحديث بـ ٢ميل / سا فقط، وهو خطأ أقل من ٠،٠٠١%[4].

بفضل هذا الاكتشاف، تمكن العلماء في حقول الفيزياء والفيزياء النووية وفيزياء الطاقة العالية من الاستمرار بحسابات أدت إلى الطاقة النووية[5].

١. لعل الآخر هو ثابت الجذب العام لنيوتن أو ثابت بلانك ـ المترجم.

٢. على أية حال، حصل ميكلسون على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٠٧م، أي على سابق محاولاته واكتشافاته في مجال البصريات «خصوصاً تجربة ميكلسون ـ مورلي الشهيرة، التي دحضت مفهوم الأثير» ـ المترجم.

٣. الجيروسكوب هو جهاز لقياس الاتجاه أو الحفاظ عليه، طبقا لمبادئ الزخم الزاوي ـ المترجم.

٤. تبلغ سرعة الضوء في الفراغ حسب التقدير الحالي ٢٩٩٧٩٢٤٥٨ م/ثا بالضبط، أي حوالي ٣٠٠٠٠٠كم / ثا كأقرب تقدير ـ المترجم.

٥. قصة أعظم ١٠٠ اكتشاف علمي على مر الزمن ـ كيندال هيفن. ص٢٣١ ـ ٢٣٣.

صدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية بحث جديد بعنوان، رسالتان في الإمام المهدي وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب مناقشة قضيتين أثيرتا في الآونة الأخيرة من قبل بعض من ادعى الارتباط والسفارة الخاصة عن الإمام المهدي عليه السلام، فحاول في الرسالة الأولى إبطال ان يكون للإمام المهدي عليه السلام زوجة وذرية في عصر الغيبة الكبرى، وإيضاح هشاشة أدلة من ادعى في عصرنا بأنه ابن الإمام المهدي، وحاول المؤلف أيضا في الرسالة الثانية مناقشة موضوع المنامات والرؤى والأحلام الذي استغله كل من ادعى السفارة والنيابة عن الإمام المهدي عليه السلام فحاول كشف الغطاء عن حقيقة الأحلام في القرآن وكلمات المعصومين عليهم السلام وتحديد ما يمكن الاستفادة منها وتبيان حدود حجيتها إن كان لها حجية أصلاً.

